أحمد حامد الصراف دراسة تاريخية

(١٩٠٠-١٩٨٥)

الدكتور

سلمان هادي ال طعمة

selmanaltoma@yahoo.com

الملخص

تستعرض هذه الدراسة السيرة العلمية لرجل قانوني مربٍ كبير لم يألُ جهداً في خدمة الإنسانية عن طريق نتاجاته الفكرية التي رفدت المكتبة العربية بمختلف العلوم والمعارف حتى بلغ مرتبة عالية اسهمت في بناء شخصيته. ولما كانت مدينة كربلاء تمتلك ارثاً ثقافياً حافلاً بالعلم زاخراً بالعلماء وأصبحت محط انظار العالم ومركز اهتمامهم، فقد هاجر اليها كثير من الأساتيذ والطلاب ورجال العلم، و كرسوا اهتمامهم على البحث وتعريف القارئ بنتاج الباحثين والعلماء الكبار ممن ازدانت بهم كربلاء ومحبو الادب والتراث.

ونحن في بحثنا هذا نسلط الضوء على سيرة الباحث الأستاذ احمد حامد الصراف الشخصية الكربلائية المعروفة، فقد كان في غاية الاحترام خلال تأديته للأعراف الرسمية، واحتل منصباً رفيعاً في العراق، وتمتع بسمعة حسنة لما قدمه من انجازات رائعة واعمال مثمرة ونافعة، وكانت له القدرة العالية على طرح المطالب العلمية الدقيقة، أدى دوراً كبيراً في الحياة الأدبية والاجتماعية.

اعتمد الباحث على مجموعة المصادر التي تعد سجلاً حافلاً يمد البحث بالثروة الفكرية.

الكلمات المفتاحية: الصراف، احمد، كربلاء.

Ahmed Hamid Al-Sarraf: A Historic Study

Dr. Selman Hadi Al-Tu'ma

Abstract

This study reviews the biography and works of a great legal educator who devoted his efforts to serving humanity through his intellectual products that enriched the Arab library with various sciences and knowledge until he reached a high level that contributed to build his personality. Since the city of Karbala possesses a cultural heritage full of knowledge and rich with scholars and became the focus of the world's attention and the center of their attention, many professors, students and scholars immigrated to it.

In this research, the researcher sheds light on the biography of Professor Ahmed Hamid Al-Sarraf, the well-known Karbalai person. He put forward accurate scientific requirements, and played a major role in literature and social life.

There is no doubt that this study has a strong impact in enriching the research with information, and it relied on a number of resources, which are considered a long record that enriches the research with intellectual information.

Keywords: Al-Sarraf / Ahmed Hamid / Karbala

المقدمة

لمعت في سماء مدينة كربلاء كواكب مضيئة تهدي التائهين إلى الطريق المستقيم، كانت كالشمعة التي تحرق نفسها لتضيء السبيل لغيرها، والجدير ذكره أن هؤلاء النوابغ خدموا الأمة الإسلامية بكل صدق وعزيمة، وضحّوا من أجلها بكل غالٍ ونفيس بما تركوه من تراث زاخر بمعلوماته، غني في عطائه، يجمعهم حب العلم والعمل، فكان لهم فضل كبير على الأمة في التوجيه وإثارة الحماس في نفوس أبنائها، وما زالت أعمالهم الجليلة تفخر بها الأمم.

يتناول هذا البحث سيرة حياة مفكر عربي فذّ له أثر كبير في تطور العلم، ذلكم هو الباحث أحمد حامد الصراف، مدرسة قائمة بذاتها سلوكاً وعلماً وأدباً وخلقاً وكفاءة، فهو أحد الأعلام البارزين الذين اضطلعوا في الحياة العامة بمهام التربية منذ تأسيس الحكومة الوطنية في العراق سنة ١٩٢٠ حتى أواسط الثمانينات، كان معلماً وحاكماً وأديباً ناشطاً في دنيا الأدب والثقافة وخدمة الوطن والأمة الإسلامية، وله أعمال إبداعية تمتاز بالدأب والجدّة، وتتسم بالعمق والإحاطة وقوة التعبير وتحفل بكل طريف وتليد، كان كثير الحفظ، واسع الرواية، قوي الحجة، ناصع البرهان، حلّق في مختلف الأجواء الأدبية حتى كانت له فيها جولات تدل بما تركه من آثار نفسية على عقل راجح وثقافة واسعة، فضلا عن انكبابه على البحث العلمي.

اعتمدنا في هذه الدراسة على بعض الكتب التي تناولت سيرة الصراف وتاريخ حياته وأعماله ثم مكانته العلمية لتوثيق بعض المعلومات التاريخية التي وردت في هذه الكتب التي استندت اليها الدراسة وكانت لنا خير عون في إمدادنا بالكثير من المعلومات القيمة.

المبحث الأول: لمحات من سيرته الشخصية

الصراف أديب معاصر خليق بكل إعجاب وإكبار، أنجبته مدينة كربلاء، وما أكثر ما أنجبته من قادة الفكر وأساطين العلم والأدب والفن ونوابغ الشعر والبيان.

هو أحمد بن حامد بن موسى بن أحمد بن موسى بن أحمد بن موسى بن أحمد الصراف من ضباط الدرك العثماني، ولد في مدينة كربلاء سنة ١٩٠٠م (الجندي، ١٩٦٢،ص٥٢) (الورد، ١٩٧٨، ج١، ص٧٢)، (الكرباسي، ١٩٦٨م، ص٣٦١)، (مجمع الفكر الإسلامي، ٢٠٠٩م، ج٢: ص ٢٥٥)، (يوسف،٢٠٠٣م، ص ١٢٨). نشأ في كنف أبيه وجَدّه في دار تقع في محلة باب بغداد أحدى محلات مدينة كربلاء، وقضى مرحلة الطفولة فيها، بعد ذلك انتقل الى مدينة بغداد لإكمال دراسته إذ ظل مواظباً على العلم والدراسة، ولج أحمد حامد المدارس الرسمية وإثر الاحتلال الانكليزي للعراق التحق بدورة للمعلمين وعيّن بعد نجاحه فيها معلما في مدرسة البارودية في بغداد (شباط ١٩١٨) ولم يلبث أن نقل في السنة نفسها معلما في مدرسة الحلة فمديرا لمدرسة علي الغربي (١٩١٩) وبعدها عاد الى كربلاء،

ليتولى التدريس في المدرسة الابتدائية الواقعة في دار شمس الدولة (ال طعمة،١٩٩٩، ص١٧٣).

في محلة العباسية الغربية بالقرب من مرقد العلامة ابن فهد الحلي (منشورات مدرسة الحسين الابتدائية، ص١٨).

ثم عين فيما بعد مديراً لها (١٩١٩-١٩٢١)، وفي هذه المرحلة أخذ يتردد على دار العلامة السيد عبد الحسين الكليدار آل طعمة سادن الروضة الحسينية (١٢٩٩-١٣٨٠هـ) في محلة المخيم، فدرس على يديه التاريخ الإسلامي، وارتاد المكتبات فوجد أن القراءة تتملك هواجسه، فهو مندفع منذ يفاعته الى قراء الكتب والتزود بالمعرفة ولاسيما حفظ الشعر، وتلاوته الذي كان يعد فاكهة الكربلائيين في مجالسهم التي يعقدونها (الصراف، ٢٠١٨، ص٩٥) هنالك تفتح ذهنه وظهرت براعته، واتسعت دائرة تفكيره، فكان يغترف المعرفة من كل ذلك بذكاء حاد واتقان متزايد.

لقد نشأ نشأة صالحة محاطاً برعاية أسرته التي وفرت له هذا الجو الذي ساعده في الامتياز والنبوغ، وكانت له علاقات وصلات حسنة مع كثير من أعلام وعلماء العراق والبلاد العربية. وفي كربلاء حيث تعلم وتهذب في المدارس العثمانية فضلاً عما نهله من معلومات عن والدته وهي من أهالي مدينة المسيب، إذ لقنته المبادئ القرآنية والأدبية واللغة العربية وتذوق الشعر والترتيل وقد ساعده في ذلك كله تكوين شخصيته، فكان محدثاً بارعاً نتيجة لثقافته الواسعة التي ضمت الـتراث واللغات والشعر والفلسفة والتاريخ، يحسن انتقاء العبارات الأنيقة المهذبة، أما عن هيئته فقد كان يحسن اختيار ملابسه، فكان مثالاً عن الأناقة (الجواري،٢٠٠٧، ص٤٢).

كتبت الدكتورة شيماء ابنة المرحوم أحمد حامد الصراف قائلة: «كانت العائلة في كربلاء حين ولد أبي حيث انتقل اليها جدي بحكم وظيفته هناك نشأ أبي وتكون في ثلاث لغات وحضارات، العربية اللغة الأم، وهو أديب بالعربية كانت مربيته فارسية امرأة أديبة حكيمة كما يصفها باحترام درّسته اللغة الفارسية فهو أديب بالفارسية، ودرّسته أمه اللغة التركية فهو أديب بها، وظلت لغته الكردية ضعيفة ويتحدث بها نادراً جداً مع أقرباء يأتونه أحياناً من شمال العراق لاحقا وبجهد شخصي، وفي بغداد تعلم اللغة الإنجليزية والفرنسية» (الـصراف، ٢٠١٨، ص٢٣٠).

تسنى للصراف أثناء فترة وجوده في مدينة كربلاء أن يتعلم هذه اللغات الأجنبية بمساعدة مربيته وأمه كما مر بنا، واستطاع أن يطلع على صور النوابغ وأفكارهم في أشعارهم، فأفاد من ذلك ملكة في الثقافة والشعر، وأكد الصراف ذلك في قوله: «ففي هذه المدينة ولدتُ وفيها نشأتُ، وفيها ترعرعت، ولما علا بي شبابي واستوت قامتي وجدتني أتكلم الفارسية بسهولة كسائر أبناء المدينة برغم أني لم أتعهد دراستها، ثم انخرطت في سلك التلاميذ فدخلت المدارس التركية فوجدت الإيرانية درساً رسمياً فأخذت أدرسها مضافاً إلى أني وجدت في بيت أبي امرأة إيرانية جاء بها جدي لتربي أولاده، وكانت على جانب كبير من الفضل والأدب تستظهر

أروع القصائد الفارسية والعربية، وتحفظ الكثير من الأمثال والقصص وتحيط علماً بنكات الأدباء والشعراء وتحدث جليسها بنبرة جميلة ولهجة حنون يتفجر منها الصدق والطهر، كانت مربيتنا (زن اغا) راوية للشعر»، ويستطرد الصراف في حدثية قائلاً: وقد سمعت أول مرة باسم (الخيام) من مربيتي (زن اغا) كان ذلك في إحدى ليالي الشتاء من عام ١٩١٨م وكنا قد اعتدنا أن نسمر في غرفتها لنشرب القهوة والشاي فصورت لي الخيام بالشاعر الماجن(الخيام، ١٩٤٩،ص٧-٨).

وبعد أن تأسست مدرسة كربلاء الابتدائية في محلة المخيم والتي اشتملت على أربعة صفوف، لكنها نقلت في عام ١٩٢٠م الى محلة باب النجف وكانت مناهج دراستها صعبة، وكانت تدرس اللغة الإنكليزية ابتداء من الصف الأول الابتدائي، عين أحمد حامد الصراف مديراً لها للمدة (١٩١٩-١٩٢١م) وكان مثالاً للجد والنشاط لما يتمتع به من مركز أدبي وعلمي واجتماعي، فوفق في إدارة المدرسة وحسن تنظيمها وكان شعاره (خير الناس من نفع الناس) لذا ظفر بمحبة الناس وعمل الخير هذه الشخصية كان لها الدور الفاعل في التكوين الحضاري للبلاد، إلا إنها لم تنل ما تستحقه من الدراسة.

وأصبح في سنة ١٩٢٢ مدرسا في المدرسة الثانوية في بغداد فكاتبا في دائرة نائب مدير المحاسبات في العام (١٩٢٢) فكاتبا في دائرة خزينة بغداد في العام (١٩٢٣). وانتمى في الوقت نفسه إلى مدرسة الحقوق عام (١٩٢٢) وتخرج فيها سنة ١٩٢٦.

١. أدبه:

وعالج بأسلوبه المحكم موضوعيات ممتازة في الأدب والاجتماع، وكتب القصة في بداياته الأدبية وراسل أمّات الصحف العربية وتولى رئاسة تحرير جريدة بغداد التي تصدرها الشاعر عبد الرحمن البناء سنة ١٩٢١ (الجندي،١٩٦٢، ص٥٢)، وهكذا ظل يعكس صوراً مشرقة من الثقافة والنهضة الحديثة في العراق.

وقد انتخب أحمد حامد الصراف عضوا بالمجمع العلمي العربي في دمشق في (تشرين الثاني ١٩٤٧) وعضوا بالمجمع الإيراني في طهران (فرهنكستان عام ١٩٥١).

كان الصراف واحداً من أبرز المثقفين الناشطين الذين أسهموا في رفد الصحف والمجلات العراقية بأبحاثه ومقالاته الأدبية والاجتماعية، والتي تنوعت من حيث مضمونها ومعالجاتها ولاسيما الاجتماعية والثقافية، واستأثرت باهتمام أهل الفضل والأدب والصحفيين والمثقفين قاطبة، فعالج موضوعات اجتماعية شتى عن طريق نتاجه، فضلاً عن إحاطته بالفنون الأدبية من شعر ونثر وقصة والأدب الشعبي وما دوّنه من الأساطير والخرافات والعوائد خدمة للتاريخ العراقي وبرزت جهوده من خلال التراث الذي تركه لنا من خلال مؤلفاته التي لا غنى لأي باحث عن تناولها يشهد له الجميع بغزارة علمه وطول باعه وسعة معرفته، وأنّ آراءه وأفكاره في مجملها واقعية مرنة، ولهذا ذاع صيته في الأوساط الفكرية. وفي مدينة بغداد التي انتقل اليها وأخذ يحضر منتدياتها

الأدبية حيث أحاديث العلم والتاريخ وروائع الأدب والشعر والفن، وتعرّف، جهابذة العصر وشخصيات الأدب والسياسة من أمثال الدكتور مصطفى جواد وجميل صدقي الزهاوي والدكتور علي الوردي ومحمد مهدي الجواهري، وأخذ يتتبع كل جديد، ناهيك عن حضوره في المجالس الأدبية متابعاً ومشاركاً، ولم ينقض الأمر عند هذا الحد، إذ كانت هناك مجلات يسهم بها بما تجود به خواطره من أبحاث ومقالات فضلاً عن أنه كان عضواً في (نادي القلم) (مجلة صوت ثانوية كربلاء،١٩٥١، ص٢٤) الذي كان غنياً بالمناظرة والمساجلة.

علاقة الصراف بالزهاوي

كانت للصراف علاقة متينة مع الشاعر جميل صدقي الزهاوي، والعامل المشترك بينهما هو (عمر الخيام) الشاعر الفارسي المعروف يحدثنا في هذا الخصوص زميلنا الأستاذ حارث طه الراوي عن هذه العلاقة فيقول: «ولما كان الصراف تلميذاً وصديقاً للأستاذ جميل صدقي الزهاوي يكتب عنه ويدافع وينافح منذ العشرينات، فقد اقترنت شهرة الصراف بشهرة الزهاوي، ولم يجد الزهاوي منصفاً كالصراف، لأن أبا شهاب كان ولم يزل يجمع بين الإلمام الأدبي الواسع والوفاء النادر» (الجواري،٢٠٠٧، ص٤٢).

لازم الصراف جميل صدقي الزهاوي أعواما طويلة وروى أخباره وأشعاره وكتب عنه صفحات ممتعة، ورافقه سنة ١٩٣٤ الى طهران لحضور مهرجان الفردوسي (مير بصري، ص٢٠٩-٢١٠).

علاقته بأدباء كربلاء

في هذا الجو الأدبي المليء بالفكر والرأي كان الصراف يلتقي بين حين وآخر بأهل الفضل والأدب، فهو المجلي في كل حلبة أدبية وعاش في عصره شعراء وأدباء كربلائيون ممتازون منهم أبو المحاسن الكربلائي والشيخ محسن أبو الحب والسيد حسين العلوي والحاج عبد المهدي الحافظ والشيخ موسى الهر والشيخ محمد القريني والسيد محمد علي السعيد آل طعمة ومهدي جاسم الذين امتازوا بكثرة الإنتاج وسرعة الخاطر وقوة الحافظة، وكان الصراف صديقاً حميماً لهؤلاء يلتقي بهم ويحاورهم وهم يعبرون عما يجيش في نفوسهم من روح وطنية عالية وموهبة فنية متسامية.

وقال الأستاذ موسى الكرباسي «لم ينقطع عن مواصلة تعقبه الأدبي ولم يثن عزمه انشغاله بأبحاثه ووظيفته، فقد وهب نفسه للأدب وعكف على تصوير الحياة الاجتماعية تصويراً تميز به طابعه الخاص وكان لإتقانه الإنكليزية والفارسية والتركية واستيعاب ما دار في فلك هذه اللغات من أنماط الثقافة وأثره الكبير في شحذ ذهنيته وصقل آفاق فكره في منحه الصورة الأدبية حياة وديمومة (عبدالحميد، ٢٠٠٤، ج١، ص٩٠).

المبحث الثاني: مساهمته في القضاء والإدارة ومؤلفاته ورحيله

نقلت خدمات الصراف سنة ١٩٢٣ الى وزارة العدلية فعين كاتبا فيها فملاحظ التحرير عام (١٩٢٦) فمدير المطبوعات في وزارة الداخلية (أيلول ١٩٢٨

-١٩٣٠) فملاحظ مكتب المطبوعات حين خفضت درجة المديرية نفسها عام (١٩٣٠). وصحب توفيق السويدي في تموز ١٩٢٨ الى مؤتمر جدّة المعقود مع الملك عبد العزيز آل سعود بوصفه سكرتيرٍ للوفد العراقي. ونقل بعد ذلك سكرتيرا لقنصلية العراق في كرمنشاه (١٩٣٠) لكنه استقال وامتهن المحاماة. وأعيد تعيينه مدعيا عاما للواء البصرة (كانون الأول ١٩٣٣)، وعين معاون رئيس تسوية حقوق الأراضي في آذار ١٩٣٦، ثم أصبح في كانون الثاني عام ١٩٣٧ نائب المدعي العام في الموصل فمفتشاً عدليا في آذار ١٩٣٩ حتى ألغيت وظيفته في تموز ١٩٤٠، ثم عين حاكما منفردا للناصرية في آب ١٩٤٠ فحاكم تحقيق الرصافة في نيسان ١٩٤١ فنائب المدعي العام في بغداد في آذار ١٩٤٢، فحاكم بداءة كركوك في حزيران ١٩٤٢ فحاكم الصلح الأول في الموصل في تموز ١٩٤٣ فنائب رئيس أجراء في الموصل في تشرين الثاني ١٩٤٣ فحاكم كربلاء المنفرد في نيسان ١٩٤٤ -

وشغل بعدها مناصب عديدة مرموقة منها حاكم بداءة الحلة في حزيران ١٩٤٥ ومن ثم الرمادي في أيلول ١٩٤٦ ومن ثم عضوا في المحكمة الكبرى في بغداد في تشرين الأول ١٩٤٧ ولم يبق إلا أياما حتى نقل الى وظيفة نائب المدعي العام بغداد، ثم حاكم بداءة الكاظمية في العام نفسه وعين مديرا عاما للدعاية في أيار ١٩٤٨ فرئيسا لتسوية العمارة في الأول من تشرين الثاني ١٩٤٨، ورئيسا لتسوية بغداد في آذار ١٩٥٠ (مير بصري، ص٢١٣-٢١٤). ثم تولى بعدها مناصب قضائية مختلفة حتى أصبح مدونا قانونيا (أيلول ١٩٥٢) ثم أحيل على التقاعد برغبة منه في أيلول ١٩٥٤ فأخذ يزاول المحاماة، وذكر صائب عبد الحميد: «وشغل عدة وظائف مرموقة منها رئاسة المحكمة الكبرى وعمل في الادعاء العام والمجمع العلمي العربي في دمشق منذ عام ١٩٤٧» (صائب،٢٠٠٤م، ج١، ص٩٠).

أما محمود الجندي فقد أعطى تفاصيل أكثر فقال: تخرج من كلية الحقوق سنة ١٩٢٥-١٩٢٦م أشغل وظائف الادعاء العام والتدوين القانوني ورئاسة تسوية حقوق الأراضي وحاكمية عدة ألوية ورئاسة المحكمة الكبرى في الرمادي والناصرية (الكرباسي، ١٩٦٨، ص٣٦١)، ولا غرو فقد أصبح الرجل واحداً من أعمدة المحاكم وعلى امتداد السنوات في هذه المؤسسة العراقية كان نزيهاً يشهد له العاملون معه بذلك، زد على ذلك أنه سعى لتقريب العلاقات بين العراقيين والإيرانيين، فقد ذكرت ابنته قائلة: إن من بين القادمين الى العراق من إيران لزيارة أضرحة الأئمة في كربلاء من يدخلها بدون جواز سفر وهذا يتم خلسة عبر الحدود، كان يتم إلقاء القبض على البعض منهم يحبسون ثم يمثلون أمام المحاكم يقف أحدهم أمام الصراف الحاكم فيسأله: هل يعرف شعر حافظ الشيرازي؟ الفردوسي؟ عمر الخيام... فإن أجاب بنعم يطلب منه أبي قراءة بعضه، يحكي الرجل: كان الوقت يمر بذكر شعر وأدب، وحين الانتهاء يحكمة أبي بغرامة بسيطة ويمنحه إقامة أيام تكفي لزيارة أضرحة الائمة في حين أن من لا يعرف من الشعر والأدب شيئاً يحكم بغرامة أكبر ويمنح إقامة أقل، من حين رجوعي الى البيت سألت أبي فابتسم ضاحكاً قال: نعم كنت أفعل ذلك، هؤلاء ناس

طيبون، أملهم وحلم حياتهم الزيارة وربما هو الفقر وضيق ذات اليد التي تدفع الواحد منهم أن لا يلجأ الى الطرق الرسمية في الدخول، فيأتي عبر الحدود، فهي طريقة رخيصة غير مكلفة(المطبعي،٢٠١١، ص٣٧).

٢. مؤلفاته:

من ينعم النظر في مؤلفات الصراف يجدها قليلة، بسبب أن الوظيفة استنزفت كل طاقاته، فلم تترك له مجالاً للتأليف، ومع ذلك فإنه استطاع أن يختلس الفرص لتأليف الكتب الأدبية والتاريخية، وكان لمؤلفاته الأثر الواضح في سمو مكانته وعلو منزلته وفي اعتقادي أن كل خطوة يخطوها المؤلف الى الأمام إنما هي حجر جديد يوضع في دعائم التراث، مما دفع طلاب العلم والمعرفة لأن ينهلوا من معينها ويتخذوها مصادر معتمدة، لما فيها من آراء نبيلة منهجية علمية ذات نقد وتحليل.

نشر الصراف بحثاً جاداً وعميقاً بعنوان (الغلاة أو عباد علي بن أبي طالب) في مجموعة نادي القلم العراقي) ص٢٢٦-٢٤٨ وكان موضوعاً ممتعاً لا يخلو من الابتكار والطرافة، جزيل النعم، جم الفوائد.

وعن سبب اهتمام الصراف بالتصوف والمتصوفة بحسب وصف مير بصري(*) «إن توقد عاطفة الصراف وإرهاف حسه قد دفعاه الى حب التصوف وأصحابه فدرس الخيام والحلاج وأضرابهما وتتبع أخبار الدراويش والغلاة وشد الرحال إلى إيران بحثا عن شؤونهم وآثارهم»(مير بصري، ص٢٠٨).

عمر الخيام الحكيم الفلكي النيسابوري، ترجم رباعياته الى العربية نثراً نقلاً عن الأصل الذي نظمت فيه وأكثر المنصفين رأوا فيه أفضل ترجمة نثرية للرباعيات ترجمة الأستاذ أحمد حامد الصراف، أما أفضل ترجمة شعرية لها فترجمة الشاعر أحمد الصافي النجفي (الراوي، ١٩٨٦، ص٢٥١) وقد صدر الصراف ترجمته بمقدمة واسعة جداً هي في الواقع دراسة مستوفية لحياة الخيام وعصره ومن نحا نحوه من الشعراء في بعض الأغراض، تصلح لنفاستها أن تفرد بكتاب مستقل، وقد كان المفكر المعروف الأستاذ جميل صليبا منصفاً عندما قال عن هذه الدراسة الفريدة: «... والخلاصة أن في كتاب الأستاذ أحمد حامد الصراف كثيراً من الحقائق التاريخية والأدبية، وهي تدل على علمه الجم وأدبه الغزير وأحاط بحياة الخيام أحسن إحاطه وحلّل أدبه وعلمه وشاعريته أحسن تحليل.

وطبع هذا الكتاب ثلاث طبعات:

- الطبعة الأولى – (بغداد ١٩٣١م).
- الطبعة الثانية – (بغداد ١٩٤٩م).
- الطبعة الثالثة – (بغداد ١٩٦١م).

ونشر الشاعر العراقي جميل أحمد الكاظمي قصيدة بعنوان من وحي رباعيات الخيام مطلعها:

انا والصراف والكأس التي
أترع الخيام من أصفى مدام
(مجلة المكتبة، ص٦)

وقد مثل العراق في مهرجان الخيام الذي قامت به الحكومة الإيرانية (ال طعمة، ص١٧٣) وذكر

له (معجم مؤلفي الإمامية) عـدداً من المؤلفات والمقالات:

١. بغداد قديماً وحديثاً (خارطة) (بغداد ١٩٥١م).
٢. الشبك لغتهم أصلهم (بغداد ١٩٥٤م).
٣. خليفة الخيام – ألفها مع محمد الهاشمي.
٤. أدب الغلاة.
٥. أناشيد الشرق – ألفها مع الشاعر العراقي مير بصري.
٦. أهازيج الخيام – ألفها مع مصطفى جواد.
٧. الأوابد والعوائد العراقية – البكطائية الملامية البيرامية المولوية.
٨. بين بغداد وطوس.
٩. الدراويش.
١٠. رسالة الحلاج.
١١. رسالة في ابن سينا وأدبه الفارسي.
١٢. الفيلسوف الدكتور رضا توفيق.
١٣. مقارنة بين الأدب العربي والفارسي والتركي (الورد، ١٩٧٨، ج١، ص٧٣)، (الراوي، ١٩٨٦، ص٧٢).

رحيله:

طوى الردى الانسان والأديب والمربي وبرحيله انطوت صفحة من صفحات التحقيق والمثابرة، كان بالأمس يملأ سمع الحياة وبصرها وكان قدوة صالحة للأعمال الإنسانية رجلاً سليم الذات طيب الصفات وكان لأدبه لون خاص ينم عن فطنة وذكاء نادرين، لكن الموت أدركه على عجل فانطفأت تلك الشعلة الملتهبة التي كانت زينة المجالس وسلوة الجالس، فهو حقاً كما قال أبو الحسن التهامي:

يتزين النادي بحسن وجوههم
كتـزيـن الهـالات بـالأقـمار

كانت وفاة أحمد حامد الصراف في بغداد يوم ١٨/ ٢/ ١٩٨٥ ودفن فيها.

إنموذج من نثره

كلمة الأستاذ أحمد حامد الصراف عضو المجمع العلمي بدمشق وطهران التي ارتجلها في الحفل الذي أقيم في الصحن الحسيني بكربلاء لمناسبة مرور عام على رحيل العلامة السيد عبد الحسين آل طعمة سادن الروضة الحسينية المقدسة:

يا أهل البلد المقدس، ويا سكان المدينة الشريفة المكرمة سلامة لكم وسلام عليكم... قيل لأحد الخلفاء: يا أمير المؤمنين لقد لهزك القتير، قال: والله من الصعود على المنابر وخشية اللحن، فأنا إن لحنت وإن قصرت فإن في ميدان حلمكم متسعاً للعفو عن كل تقصير، فإني لست واعظاً ولا خطيباً ولا متكلماً ولا أديباً، وإنما أنا من هواة الأدب، التقط الأدب عن موائد أهل الأدب، وأخشى أن أكون يوماً ما حميلة عليهم.

يا أهل هذا البلد المكرم، لقد مرت على هذا البلد الأمين من حوادث التاريخ ووقائعه أعجب الحوادث وأغرب الوقائع، فقد كمن البغض والشنآن في قلوب أناس لم يرد الله لهم السعادة والهناء فناصبوا هذا البلد المقدس العداء العجيب، حتى لقد هدم هذا القبر

الكريم الذي ثوى فيه ريحانة رسول الله ثلاث مرات، وأعجب من هذا وذاك أن الذي أمر بهدمه ابن عمه كما زعم، ولم يتجرأ مسلم، ولا مؤمن أن يمد يده الأثيمة الى هذا القبر المطهر، فانبرى له يهودي يكره الرسول وابن البتول اسمه (ديزج) ولا أعلم كيف اهتدى الى اسمه ابن العبري، فذكر لنا أن اسمه إبراهيم، فجاء الخبيث ابن الخبيثين وهدم هذا القبر الذي احتوى هذا الجسد المبارك المنور المطهر، الصدر الذي ترددت فيه أنفاس رسول الله، وأنفاس وصي رسول الله، ثم ماذا جرى بعد هذا! جرى أن أقيمت المسالخ حول القبر المشرف حتى يمنع المؤمنين من زيارة قبره الكريم... قرأت في كتب الأدب أن رجلاً جاء الى محلة المأمونية في بغداد، وقال: مَن منكم رجل اسمه ابن أصدق؟ قالوا له: قد ذهب الى الحائر لزيارة قبر أبي عبد الله، وكان الناس في خوف ووجل عظيمين، فجاء الرجل الى كربلاء وقال من منكم ابن أصدق؟ قال: الرجل ها أنا ذا، قال رأيت مولاتي فاطمة عليها السلام في الرؤيا، قالت لي: اذهب الى ابن أصدق وقل له: لينح على ولدي:

أيهـــا الـعـيـنـان فـيـضـا
واســتــهــلا لا تهـيـضـا
لم أمـــرضـــه فـأسـلـو
لا ولا كـــان مـريـضـا

فلما سمع هذا شق ثيابه ولطم صدره وكثر الندب والنواح، وقد أفتى رجل متعصب قال: إن امرأة تدعى (خلّب) تنوح على الحسين فمن ظفر بها فليقتلها، الى هذه الدرجة وصل العداء والنصب، ولكن أين أولئك وأين قبورهم؟ هذا قبر أبي عبد الله الحسين، تسجد فيه الملائكة، ويصلي فيه القديسون والصديقون، ترفرف عليه أرواح القديسين والصديقين، وتفوح منه شذى النبوة، وشذى الرسالة والوصاية، فأين قبورهم؟ هذا هو قبر سيدنا وشهيدنا.

يا إخوتي في الله والدين والوطن، الموت منهل يرده كلُّ حي، إنك ميتٌ وإنهم ميتون، لكن الموت الذي قرر العلماء فقالوا: إن الأديان وليدة شر الموت، فإن الولادة خطب والحياة خطب والموت خطب، ولكن الإنسان الذي لا يملك في هذه الدنيا إرادة لمكافحة هذا الأجل، فليس عليه إلا التسليم والرضا، مرض للإمام جعفر بن محمد صلوات الله عليه ولد فجزع عليه ولما مات سكن وهدأ، قيل له: يا ابن بنت رسول الله كيف جزعك وقد مات ولدك؟ قال: ما بعد هذا فليس لي إلا التسليم والرضا، هذه كلمة الامام الأكبر الذي أودع الله في صدره سر جده الأعظم محمد صلوات الله عليه.

أيها السادة لا أريد أن أطيل عليكم، ولا أريد أن اغتصب وقتاً من الخطباء الآخرين، لقد جئت إلى كربلاء وفي صدري كثير من الهم والغم وكثير من الأسى والجزع على فقدان السيد الجليل القدر، علامة العرب أستاذ التاريخ الأكبر، أستاذي وسيدي، صديقي وعمي وأخي المرحوم الحاج السيد عبد الحسين الكليدار، وبعد فماذا اعدد عن فضائله؟ وماذا أقول عن سجاياه؟ وقد وفى الخطباء والشعراء هذا الموضوع، فأطنبوا ووفوا حقه، إلا إنهم فاتهم شيء واحد، ذلكم هو الذي لمسته في أخلاق المرحوم نضر الله وجهه، كان تغمده الله رحمته بعيد

الغور كثير الأناة حكيماً عاقلاً، وفوق كل هذا وذاك كان زاهداً، وأذكر أنني زرته يوماً، فكان غذاؤه غذاء السوق من الناس، فكان هذا الزهد الذي انطبع عليه يمثل خلقه أحسن تمثيل، وقد انكمش على الناس على أثر نكبة حلت به كما قال لي عدة مرات، وتلكم النكبة هي فقده كتبه، حتى قال لي يوماً: والله لو اني فقدت ملكي ومالي وبيتي وقصري لكان أهون علي من فقدان كتبي.

قابلته في (همـدان) في دار وجيه اسمه (سعيد الممالك) وقد دعاه حاكم همدان كما دعاني، فصحبت السيد الجليل نـور الله قـبره، وألـح عليه في ذلك المجلس رجل من سراة ايـران وأثريائها وتجارها وكبرائها أن يحل ضيفاً عليه في داره فأبى ورفض رفضاً باتاً قطعياً، فلما خرجت وخرج عاتبته على ذلك، قال بلفظة الكربلائي: «خويه هذا الرجل بليد، فأنا أخشى أن أفقد من وجـودي شيئاً من الوقت لساعات قليلة مع محادثته وصحبته، فقد تعودت أن أحدث الحكماء وأن أنادم العلماء وأن أصاحب الفضلاء تعودت على مطالعة الكتب، وتعودت على أن ألمس الفضيلة والأدب الرفيع، فأي شيء يمتاز هذا حتى أقبل دعوته».

وعلى كل حال فان مصاب العالم الإسلامي كبير وأن مصاب العرب أكبر وأن مصاب العراق أعظم ومصاب كربلاء أجل وأعظم.

فعزاؤنا يا أهل كربلاء، يا سكان المدينة المكرمة، وأنا إذ أترك هذا المكان أقدم عزائي وتعزيتي الى بني هاشم.

الى النفر الغر الـذيـن بحبهم
الى الله ممـا نـابـنـي اتـقـرب

بني هاشم رهـط النبي فإنني
بهم ولهم أرضى مراراً وأغضب

أقدم تعزيتي الى السادة آل طعمة المكرمين ولاسيما السادن المحترم، حبيب القلوب وقرة العين السيد عبد الصالح حفظه الله وحفظ إخوته وحفظ ذويه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١. الصراف في رحاب الشعر:

بعث بعض الشعراء قصائد من الشعر الى الباحث الأستاذ أحمد حامد الـصراف تعبيراً عن حبهم له ومنزلته لديهم، وقـد اخترنا للقارئ بعض هذه القصائد:

أ. قصيدة بعث بها الشاعر مير بصري أطّرها بما يأتي: الى الأخ النبيل والأستاذ الجليل أحمد حامد الصراف (وقد أبلّ من مرضه):

لا زلتَ تَرْفُلُ، يا حبيب، ببردة
فضفاضة من صحّة وهناءِ

للهِ درّك مـن أديـــب عـالم
غَمْر البديهة، وافـر الآلاء

لو صيغ فكرك حلية لزهت على
جيد الزمان برونق وسناء

ولـك الـشعـور رقيقه ونبيله
ولك الذكاء يفوق وَهْج ذّكاء

ولـك الأناقة في الحياة وطيبها
تزهو بَدلّ الكاعب الحسناء

جمعتَ أشتات النصوص وهمت في
نسق من الألوان والأسماء

وحديثك العذب الذي يحكي الذّرى
مترقرقاً بالعطر والأضواء

يَرْوي النفوس الظامئات فتنثني
سكرى تعاف ملذّة الصهباء

نغم من الأفلاك يهبط ساحراً
فإذا القلوب أسيرة الإصغاء

أوغلتَ في بحر التصوّف طالباً
سرّ الوصال تعلّلاً بِلِقاء

وشربت من خمر الهيام، فهل رأت
عيناك ومض الحقّ يغشى الرائي؟

هل هزّك الشوق المؤرّق عاصفاً
بالنفس في خَلْج من البرحاء

وسمعتَ من أفق الصبابة هاتفاً
أو شِمْت برقاً لاح في الأجواء

وشممت في روض المحبّة والوفا
(أَرَج النسيم سرى من الزّوراء)

ولقد صحبتك في السّنين موالياً
فصحبتُ نَدْياً أيمن السّيماء

ونهلتُ من فيض السماحة والحجى
وشربتُ صفواً سلسبيل الماء

ومضيتُ في نهج المكارم والعلى
ورفيق أيّامي أبو شيماء

وحبوتني الودّ الجميل وكنتَ لي
نوراً يضيء دُجُنّة الظّلماء

فاذا نعمتَ فإنني في نعمةٍ
وإذا شُفِيتَ فقد بلغتُ شفائي

دم للمودّة والإخاء مهنأً
بالعزّ موصولاً بحسن ثناء

١٢/ ١١/ ١٩٧٠

مير بصري

ب. وكانت له مراسلات مع أدباء لبنان، ففي قصيدة بعثها له الشاعر الكبير بشارة الخوري(**) المعروف بالأخطل الصغير يعرج بها على زيارته إليه ومطالعته كتابه عن عمر الخيام (الامامية، ص٢٥٥-٢٥٦).

بدأ الكأس وثنّى
وسقى الشعر فغنّى

طائر من دجلة
الخلد إلى لبنان حنّا

كم لسحر الشرق في عينيه
من معنّى ومعنى

كلّما أنشد قلنا
عمر الخيام معنا

ينثر الأُنس على المجلس
من هنّا وهنا

يـــا رســـــول الأدب الـــعـــالي
ســـــــلام الـــشـــعـــر عـــنّـــا

قـــــل لـــبـــغـــــداد، مـــتـــى
عُـــــدت إلى بـــــغـــــداد، إنّـــا

أي رحيق ودّ خالص ضمنّه الشاعر أبياته للصراف!!

ج. واتصلت أسباب المودة بين الصراف والشاعر التركي الدكتور رضا توفيق، ولاسيما عندما جاء الأخير الى بغداد أوائل عام ١٩٤٠ بدعوة من صديقه محمود صبحي الدفتري وزير العدلية آنذاك، وكتب الصراف عن رحلة رضا توفيق مقالة نشرتها صحيفة الزمان البغدادية في آذار ١٩٥٧ تحت عنوان (صفحات مشرقة عن الأديب التركي الكبير)، وكتب بعدها عنه فصولا في ملحق البلاد الأسبوعي (مير بصري، ص٢١٠).

د. وكانت له ذكريات أدبية مع الأدباء والشعراء العراقيين تدل على صلاته العميقة بهم، ففي قصيدة مهداة اليه من الأديب حارث الراوي(***) يعبر فيها بمشاعر الصدق والإخلاص لهذه الوشائج المتينة، فيقول:

خـذهـا مـعـطّـرة الـوشـاح
يـا صـاحـب السحر المباح

أسـمـو لـعـالمـك الـقـصيّ
فـلا يـطـاوعـني جـناحي

فـبـأي نـجـم مجـدك الـعـالي
وفي أي الـنـواحـي

حسبي – وإن طـال المـدى
ألاّ أكـفّ عـن الـصياح

يـا وارث الأمجـــاد عـن
جـيـل تـألـق بـالـكـفـاح

جـيـل الـزهـاوي الـعظيم
وإنـــه جـيـل الـصـلاح

جـيـل الـعـمالـقـة الألى
كـتـبـوا بـنـزف مـن جـراح

حمـلـوا مـشـاعـلـهـم ولم
يـتـهـيّـبـوا هـوج الـريـاح

أحـرزت روحـاً كالضحى
ألـقـا وقـلـبـاً كـالـصـبـاح

وسريـــــرة أنـــقـــى مـن
الـطـلّ المـبـاكـر لـلأقـاح

وعـــذوبـــة في الـقـول
أحـلى مـن مـواعـيـد المـلاح

تجـتـاح في سـحـر الحـديـث
هـمـومـنـا أي اجـتـيـاح

تـروي، ومـا أحـلى الـروايـة
حـين تُمـــزج بـالمـزاح

ويـضـيـئـهـا قـبـس مـن
المـرح المُـبـشر بـارتـيـاح

دم يـــا أبـــا شـيـماء
لـلآداب مـنـشـور الجـنـاح

دم قـــامـــة ممـــــدودة

شـــمّاء تهـــزأ بـالـرمـاح

دم نـفـحـة بـمـجـالـس

الأحـبـاب تُسكر دون راح

الخاتمة

من خلال دراستنا لسيرة أحمد حامد الصراف استخلصنا تاريخ ولادته من خلال المصادر التاريخية، وبيان فضله ومنزلته في المجتمع، ودوره في إغناء المجال العلمي والفكري والأدبي في الوسط العراقي ولا ننسى تقلبه في دوائر الدولة، وخدماته الجليلة في التعليم ومساهمته في القضاء وأدبه وآثاره، وأنه كان مستوعباً للموروث الشعبي العراقي، الذي هو جزء من التراث الثقافي والإنساني العربي، وهو مستوعب للأدب الفارسي القديم، وقد هيمن الشعر على جميع مفاصل هذا الأدب، إلى غير ذلك من الموضوعات التي أسهمت في الحياة الفكرية والأدبية سواء كان في كربلاء أو خارجها.

تبين لنا من خلال البحث أن أحمد حامد الصراف شخصية ذات جوانب متعددة فهو حقوقي بارع شغل وظائف ادارية وقضائية كثيرة وجاب معظم ألوية العراق رسولا للعدالة، وهو أديب يصول قلمه ويجول، في آداب العربية والفارسية والتركية وله حافظة قوية تختزن بدائع المنظوم وروائع المنثور، وهو باحث محقق أولع بأخبار المتصوفة والدراويش وأرباب الطرق الصوفية واستقصى سيرهم واثارهم.

أخيراً، وليس آخراً، سيبقى أحمد حامد الصراف، علامة مضيئة ومشعلاً وهاجاً على مر الأيام وتعاقب الأجيال، فهو خالد بآثاره، بتاريخه الحافل بجسيم الأعمال وجلائل الآثار.

الملاحق:

رسالة الأستاذ أحمد حامد الصراف الى السيد سلمان هادي ال طعمة

بسم الله الرحمن الرحيم

بغداد ١٧/ ١٨ تموز ١٩٨٠

عزيز الأستاذ سلمان كلأك الله بعين عنايته ووفقك وشملك بلطفه، إني في حاجة الى ملاقاتك لأذاكرك في شؤون أدبية وكنت أريد أن أتشرف بتقبيل عتبة مولاي (أبي عبد الله الحسين) لكن الجو غير مساعد وأجلت ذلك الى الخريف.

ولعلك تقدم الى بغداد وسوف أفرح برؤيتك إني مشغول بتأليف كتاب عن (الكشفية والشيخية) وقد طالعت كتاب عزيزنا محمد حسن الكليدار آل الطعمة واسم الكتاب (مدينة الحسين) وقد وجدت في كل جزء منه حفنة من الأغلاط والأخطاء، قيل لي: إن محمد حسن في بغداد؟! فهل تعلم أين يسكن؟ وهل يمكنك أن ترشدني إليه؟

حفظ الله سلمان الكاتب الأديب الألمعي وشكراً

عنواني في بغداد

الأعظمية - محلة راغبة خاتون - شارع الضباط

رقم الدار ٤٦/ ٢

الصراف في دار شمس الدولة سنة ١٩٢٠

الصراف وسط المحتفيين بالملك فيصل الأول لدى زيارته الروضة العباسية سنة ١٩٢١ وهو الأول من اليمين

مدير المدرسة الأستاذ الصراف وسط جمع من المعلمين والتلاميذ

الاستاذ الصراف مع رئيس وزراء إيران فاطمي في الروضة العباسية

كتاب حول سيرة حياة الأستاذ الصراف

الأستاذ الصراف وهو يلقي كلمته في الحفل التأبيني لمناسبة أربعينية السيد عبد الحسين الكليدار آل طعمة سادن الروضة الحسينية المطهرة سنة ١٩٦٢م

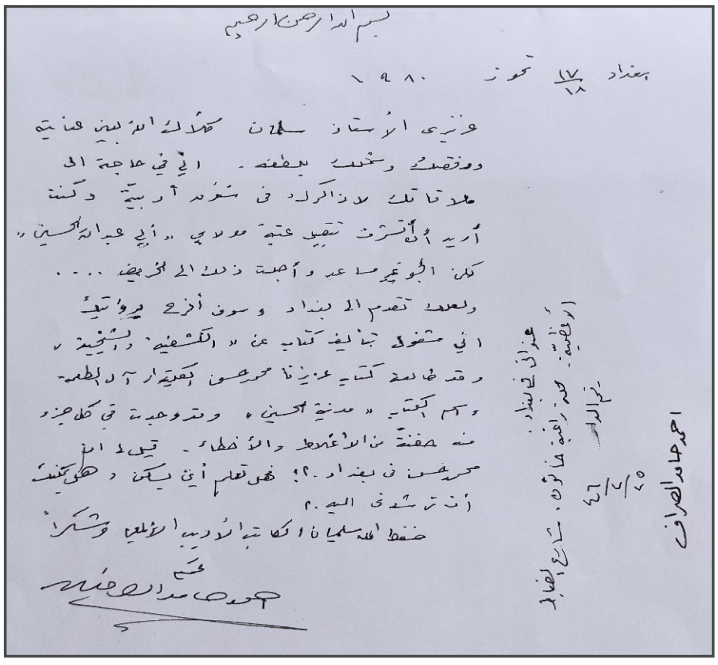

بسم الله الرحمن الرحيم

بغداد ١٧ تموز ١٩٨٠

عزيزي الأستاذ سلمان كعادتك الرائعة في وفائك وحبك بعطفك. إني في حاجة الى بعض تلك الذكريات في شهر أربعة وكنت أريد أن أنشرت تقيم عتبة مولاي ... أبي عبد الله الحسين، كان الجو غير مساعد وأجلت ذلك الى الخريف ...

وبعد تصدم الى بغداد وسوف أفرغ لمروءتك في متحفي تأليف كتاب عن «الكشفية» وتأسيسها وقد طالعت كتابك عن آل طعمة وسيكون كتاب «مدينة الحسين» وتتوجه في كل جزء منه صفحة من الأغلاط والأخطاء. قيل لي أن محرراً في بغداد؟! فهل تعلم أني يمكن وهل يمكنك أن ترشدني اليه؟

حفظ الله سلمان وأكثر أدبائنا الوطنيين وشكراً

عزان في بغداد
الرقيمة: عبد الرقيم شاكر
شارع الرصافي

٤٦/٧/٢٥

احمد حامد الصراف

رسالة الاستاذ الصراف الى السيد سلمان هادي ال طعمة

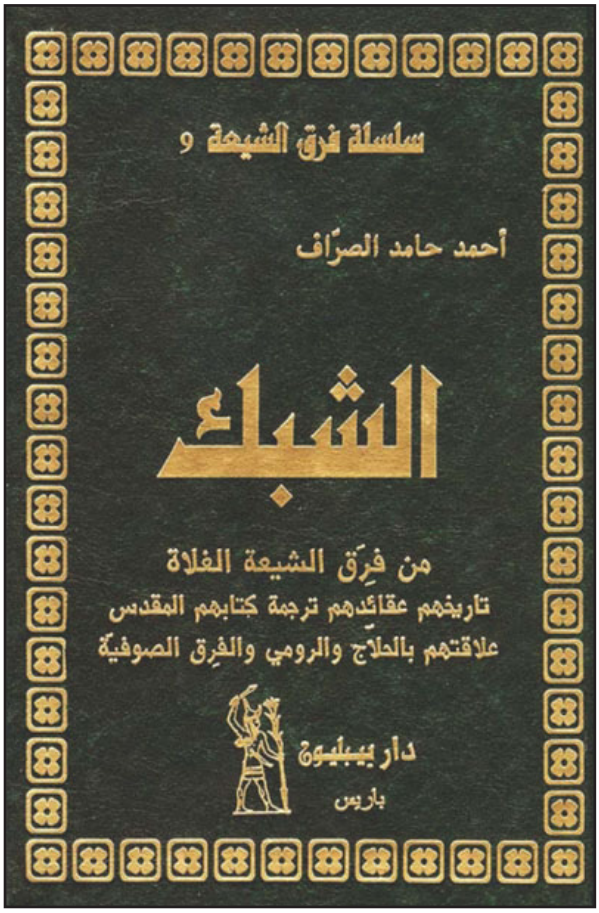

الهوامش

(*) مير بصري: عراقي، أديب، شاعر، اقتصادي، ١٩١١-٢٠٠٦، مدير عام في وزارة الخارجية، عام ١٩٤٣ رئيس غرفة تجارة بغداد، عضو نادي القلم في بغداد ولندن، زميل الجمعية الآسيوية الملكية في لندن.للمزيد عنه ينظر: فاتن محيي محسن، مير بصري سيرة وتراث، بغداد، دار ميزوبوتاميا، ٢٠١٠.

(**) بشارة الخوري (١٨٨٥-١٩٦٨) شاعر لبناني كبير، رجل صادق في نفسه ومشاعره وشعره.

(***) هو ابن العلامة طه الراوي ولد في بغداد سنة ١٩٢٧ صاحب المشاهير من الادباء، تخرج من كلية الحقوق ١٩٥٤ فمارس المحاماة ثم عين في وظائف عديدة، له مؤلفات كالاتي:

١- تباريح (شعر) ١٩٨٦، ٢- أمين الريحاني ١٩٥٨، ٣- مع الشعراء ١٩٦٥، ٤- من ذكرياتي الأدبية ١٩٨٦، توفي الراوي سنة ٢٠١٤ في الامارات. (موسوعة اعلام وعلماء العراق)، ج١، ص٣٧.

المصادر والمراجع

القران الكريم

أولا/ الكتب العربية:

١. أباظة، د. نزار ومحمد رياض المالح، إتمام الأعلام، بيروت، ١٩٩٩م.

٢. الجواري، فتحي عبد الرضا، أعلام القضاء في العراق،.... ٢٠٠٧م.

٣. الخيام، عمر، أحمد حامد الصراف، ط٢، بغداد، ١٩٤٩.

٤. دليل العراق الرسمي لسنة ١٩٣٦م، بغداد ١٩٣٦م.
٥. الراوي، حارث طه، من ذكرياتي الأدبية، بغداد، ١٩٨٦م.
٦. الصراف، أحمد حامد و د. شيماء الصراف، رجل وعصر، بيروت، ٢٠١٨م.
٧. الكرباسي، موسى إبراهيم البيوتات الأدبية في كربلاء، كربلاء، ١٩٦٨م.
٨. منشورات مدرسة الحسين،مدرسة الحسين الابتدائية، النجف، ١٩٥٨م.
٩. نادي القلم العراقي، مجموعة نادي القلم العراقي، بغداد، ١٩٣٨م.
١٠. الورد، باقر امين، أعلام العراق الحديث، ج١، بغداد، ١٩٧٨م.
١١. يوسف، محمد خير رمضان، المستدرك على تتمة الاعلام للزركلي (١، ٢)، بيروت، ٢٠٠٢م.

ثانياً/ الموسوعات:

١. الجندي، محمود، دائرة المعارف العراقية، ج١،بغداد، ١٩٦٢.
٢. الزبيدي، الدكتور حسن لطيف، موسوعة الأحزاب العراقية، بيروت، ٢٠٠٧م.
٣. ال طعمة، سلمان هادي، معجم رجال الفكر والادب في كربلاء، بيروت، ١٩٩٩م.
٤. عبد الحميد، صائب، معجم مؤرخي الشيعة، ج١، قم، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م.
٥. عواد، كوركيس، معجم المؤلفين العراقيين، ج١، بغداد، ١٩٦٩م.
٦. مجمع الفكر الإسلامي، موسوعة مؤلفي الامامية، ج٢، قم ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م.
٧. المطبعي، حميد، موسوعة اعلام وعلماء العراق، ج١،بغداد، ٢٠١١م.

ثالثاً/ الصحف والمجلات:

١. مجلة صوت ثانوية كربلاء، ١٩٥١م.
٢. مجلة المكتبة البغدادية، ١٩٦١م.